ويحاور الله سبحانه وتعالى ، الكفار في كتابه الكريم بمنطق عقلي آخر .. إذ كيف يشركون خلقاً من خلق الله ، إن كان هذا الخلق لا يملك خلقا لأي شئ ، بل هو نفسه مخلوق .

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف: ١٩١-١٩٢].

ويوضح الحق سبحانه جل شأنه في حوار منطقي جلي ، أن لو كان لهذه الآلهة التي يدعي بها الكفار، قدرة حتى على الحركة ، لكان الأمر فيه بعض اللبس، ولكن الغريب أن تلك الآلهة المدعى بها ، لا تستطيع أن تسمع ولا تبصر ولا تتحرك.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]

وأثبت الله ﷻ قيوميته ووحدانيته من خلال المنهج العلمي في قبول الفروض واختبارها ، ثم استبعاد الفروض الفاسدة منها ، والإبقاء على ما يدعو للطمأنينة والثقة وذلك من خلال الحوار الذي أداره سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه ، كما أورده الله سبحانه وتعالي في القرآن الكريم .. فقال :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٤-٧٩].

## ثالثا : مقتضى توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية يرتب على العباد مسئولية الطاعة والخضوع والخشوع والامتثال لله ﷻ في كل ما أمر به أو نهى عنه .

ومن هنا عرف البعض توحيد الألوهية بأنه لله فعل العبد تجاه ربه .. مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستعانة، وغير ذلك من أنواع العبادة[1].

فالعبادة هى صميم التوجه الإنساني لله ، إقرارا له بحق الطاعة والامتثال لكل ما أمر به ونهى عنه.

و«العبادة هى الطاعة مع الخضوع وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[يس: ٦٠] .. أى لا تطيعوه .

وقال جل شأنه:

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[المؤمنون: ٤٥-٤٧]

وقومهما لنا عابدون أى طائعون»[2].

وإفراد الله ﷻ بحق الألوهية ، يرتب الخضوع لطاعته والإمتثال لأوامره ونواهيه ، على نحو ما جاء في كتابه الكريم.. فقال جل شأنه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

وقد رتب علماء أصول الفقه تدرج مستويات التشريع على أساس تلك الآية المباركة ، فطاعة الله المتمثلة في كل ما جاء في كتابه الكريم ، ثم طاعة الرسول، ثم إجماع أولى الأمر من أهل الحل والعقد ، ثم يكون القياس بعد ذلك على أى واقعة مستجدة، بواقعة مشابهة لها وسبق الحكم فيها.

والامتثال لما أمر الله ورسوله ، ينخلع به المؤمن من كل اختيار له ، ويدع الخيرة والأمر لله ولرسوله في الحكم والشرع، مصداقاً لقول الله ﷻ :

١، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – فتاوى العقيدة – مكتبة السنة – صفحة ٥٢

٢، الأستاذ سعيد حوى – الإسلام – مكتبة وهبة – الجزء الاول – صفحة ١٩– بتصرف

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٣٦].

فتشريع الحلال والحرام لله وحده على نحو ما شرع ، حيث إن له «حق السيادة المطلقة على البشر، والحاكمية المطلقة عليهم ، فهو مصدر الأمر والنهي، وهو مصدر التحليل والتحريم، وهو مصدر التشريع، فلا سلطة تشريعية إلا له، فهو ذو الجلال والكمال جل جلاله وسبحانه ولا إله غيره»[1].

**وباختصار فإن مقتضى توحيد الألوهية هو :**

التوجه بالنية المخلصة نحو طاعة الله وإفراده سبحانه بحق التشريع له وحده دون سواه.

وترتيباً على ما سبق .. لا يجوز الاحتكام لغير شرع الله سبحانه وتعالى، وإلا عد ذلك منافياً للإيمان ، حيث نهى الله ﷻ عن الاحتكام لغير شرعه، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾النساء: ٦٠].

ولا يجوز لبشر مهما علا قدره أن يعتدي على حق الله ﷻ في التشريع وينازعه ذلك الاختصاص .. حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾
[المائدة: ٨٨]

وعاب الله سبحانه جل شأنه على بعض من الكافرين، ادعاءهم وزعمهم بأمور شرعوا لها حرمة بغير إذن من الله سبحانه وتعالى .. حيث قال فيهم:

﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[الأنعام: ١٣٨].

والحل والحرمة بغير ما أمر الله وشرع ، هو افتراء على الله ﷻ .. استنكره الله سبحانه وتعالى بقوله :

---

١) الأستاذ/سعيد حوى – الإسلام – مكتبة وهبة – الجزء الأول – صفحة ٢١

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[يونس: ٥٩].

وهكذا فإن الاحتكام لجميع ما أمر الله ﷻ به ، أو نهى عنه .. يشكل الإطار المرجعي في كل أمور الحياة .. كما قضى بذلك الله ﷻ حيث قال:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشورى: ١٠].

والخروج على الإطار المرجعي للمشروعية الإسلامية عن جحود وإنكار.. يعد من أعمال الشرك والكفر والعياذ بالله .. إذ قال الله ﷻ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء: ٦٠].

وفى تفسير معنى الأرباب من دون الله سبحانه وتعالى .. جاء في الحديث «عَنْ عديِّ بْنِ حاتم قال: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَفي عُنُقي صليبٌ منْ ذهب فقَالَ يا عَديُّ: اطْرحْ عنْك هذا الْوثن وسمعْتهُ يقْرأُ في سُورة براءةٌ اتَّخذُوا أحْبارهُمْ ورُهْبانهُمْ أرْبابًا منْ دُون اللّه. قال: أما إنَّهُمْ لمْ يكُونُوا يعْبُدُونهُمْ ولكنَّهُمْ كانُوا إذا أحلُّوا لهُمْ شيْئا اسْتحلُّوهُ وإذا حرَّمُوا عليْهمْ شيْئا حرَّمُوهُ»[1].

### رابعاً : إيجاز أثر توحيد الألوهية على النشاط الاقتصادي :

يترتب على إفراد الله ﷻ في حق تشريع الحلال والحرام ، اعتبار المشروعية الإسلامية الأساس الضابط لممارسة النشاط الاقتصادي في كل مظاهره من إنتاج واستهلاك وتداول وتوزيع .

ويشكل هذا الجانب البعد الروحي في النظام الاقتصادي ، إذ إن الأساس في السياسة الاقتصادية الإسلامية هو أن الله سبحانه وتعالى وخشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هى التى تصوغ التصرفات الاقتصادية بين الأفراد بعضهم بعضاً.

١) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن – سورة التوبة